# دِراسَاتٌ فِي النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ الصَّرْفِي

للدكتور أحمد علم الدين الجندي

تنبه نفر من علماء العربية القدامى فردوا كثيرا من المواد اللغوية إلى أصولها المعنوية المشتركة، والتي اشتقت منها تلك المواد، وكان من هؤلاء ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (مقاييس اللغة)[١] حيث يقول في مقدمته: «وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن قياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول، والذي أومأنا اليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله...».

على أن العربي كان يحسّ من دخيلة نفسه، وقوة طبعه، ولطف حسّه، أن الاشتقاق قانون نفسي مطرد لا يتغير، ولا يحيد عنه، ولا ينفر منه.

وورد في كتاب الترقيص عن أبي حاتم «قال: سألت الأصمعي: لم سُمِّيت مِنًى مِنى؟ قال: لا أدري، فلقيت أبا عبيدة فسألته فقال: لم أكن مع آدم حين علمه الله الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء، فأتيت أبا زيد فسألته فقال: سميت مِنًى لما يُمْنَىَ فيها من الدماء»[٢].

وبشفافية الحسّ العربي رفض أعرابي اشتقاق (مُسْحَب) اسم مفعول من (سَحب) الثلاثي المتعدي بدلاً من (مَسْحوب) الذي هو الأصل والقياس، وذلك حين ارتاب أبو عمر الجرمي في فصاحة اعرابي، فأراد امتحانه، وألقى عليه بيتا هو:

كم رأينا من (مُسْحَب) مُسْلحبٍّ ... صاد لحمَ النُّسور والعِقبانِ

فأفكر الأعرابي فيه، ثم قال: رُدَّ عليّ ذكر (المسحوب) حتى قالها مرات، فعلمت أن فصاحته باقية.

لكن جاءت بعد ذلك (مدرسة الاشتقاقيين) حيث خرجت بالاشتقاق عن حدّه وطبعه، وزادوا فيه تشويشاً وتهويماً، فقالوا: إن (الرَّحْل) مشتق من الرحيل، و(الخروف) منسوب إلى موعده في الخريف، و(الغراب) من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر، و(الفرسَ) من الافتراس، و(الحمار) من لونه

---

(١) تطلق المقاييس، ويراد بها الاشتقاق الأكبر.

(٢) المزهر ٣٥٣/١

**الأحمر، و(الخيل) مشتق من الخيلاء[1]. وغاب عنهم أن المعاني الحسية أسبق في الوجود، وأنها أصل الاشتقاق، والمعنوي فرع للحسّي. (فالجميل والجمال) أصلهما من (الجمَل) عند العرب، وكانوا يرونه أجمل الحيوانات، كما اعتبروا أي شبه بين الانسان والحيوان في الصبر والاحتمال هو (جمال) أيضاً، والله تعالى يقول: «فصبر جميل». و(البطلان) التي منها الباطل ضد الحق أصلها من كلمة (الباطل) بمعنى إبليس، وقد ورد هذا المعنى الأصلي في قوله الله تعالى: «وما يُبْدىء الباطلُ وما يُعِيدُ».[2].**

### أ ـ الأصل الاشتقاقي:

يرى بعض العلماء أن الأصل هو الثنائي، فرمى: أصلها الثنائي (رَمْ) حرك حرفه الثاني بفتحة مشبعة علامتها ألف، فلامه ليست حرفاً، بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة. والمثال (وثب) أصله الثنائي (ثب) زيدت فيه الواو تتويجاً. والأجوف (قام) أصله (قَمْ) أشبعت حركة حرفه الأول. أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل: لعْ لعْ، مرْ مرْ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين. ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل ابن فارس والشدياق وجرجي زيدان والكرملي والدومنكي، ولهم حجج كثيرة منها:

أن أصول الكلمات السامية كانت مؤلفة من حرفين اثنين، ثم زيد فيها بعد على كل أصل منها حرف ثالث، وقالوا: بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة في القدم، ودليل ذلك التدرج الطبيعي، والانتقال من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات.

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع الى الثلاثي، وأنه لم يتطور عن غيره، ولهم أدلتهم أيضاً، على أنه يجب أن نشير إلى أن النظرية الثنائية ما زالت فرضاً واحتمالاً، وأنها لم ترق إلى مجال القواعد الثابتة، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفي أصالة ما عدا الثلاثي، وهم مع ذلك يلجؤون في إثبات نظريتهم إلى التأويل.

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائي وتنميته لما فوقه إلى الثلاثي عن طريق تضعيف الحرف الثاني أو إضافة حرف علة إلى أول المادة الثنائية أو في وسطها أو في آخرها، يرون أن اللغة وجدت في أثناء تطّورها في المضعف ثقلاً فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفاً من حروف العلة:

انظر ما يلي:

كعّ تطورت الى كاع
ضرّ يضرّ ضرّاً تطورت إلى ضار يضير ضيرْا
ذمّ تطورت إلى ذام
طبّ ، غمّ تطورت الى طاب، غام

(١) انظر في ذلك قصة طريفة لأبي عمرو بن العلاء في: المزهر ٣٥٣/١ (ط دار إحياء الكتب العربية)

(٢) سورة سبأ، آية ٤٩، وفي الكشاف للزمخشري (٤٦٧/٣) طبعة الاستقامة ١٩٥٣ م «الباطل: إبليس لعنه الله، والمعنى، ما ينشىء خلقا ولا يعيده، وقال الزجاج: أي شيء ينشىء أبليس ويعيده؟ فجعله للاستفهام».

مدّ تطورت الى ماد
صرّ (الصوت) تطورت الى صار
حفّ تطورت الى حاف
غبّ تطورت الى غاب
طمّ يطمّ طموما تطورت الى طما يطمو طموّا
همر تطورت الى همى
محق تطورت الى محا
حمّ (الحديد) تطورت الى حمى
شجب تطورت الى شجا (أحزن).

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نوناً مثل:
احرجّم تطورت الى احرنجم.
اظلم تطورت الى انظلم[1].

وأبدلت نوناً، لأن النون حرف موسيقى محبب في اللغة، ولهذا يرى بعض الباحثين[2] أن وزن (أفَّعَل) هو الأصل ثم تطور إلى (إنفعل) فهي صورة جديدة للمطاوعة وهي فرع عن (إفَّعل وافتعل).

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال: الأجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة[3] (الترخيم) ثم المثال ثم السالم، فالسالم جاء آخراً؛ لأن زيادة حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع في التفنن في نقصه، إذ لو جعلت السالم أصلاً لزم عنه العدول من الكمال الى النقصان. والدليل على أصالة المضعف قراءة أبي حيوة (وعزني في الخطاب) ٢٣ سورة ص. قال ابن جني في المحتسب (٢ / ٢٣٢ دار احياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدي والدكتور عبد الفتاح شلبي) **أصله**: عَزّني غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاي الثانية أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابي من قولهم: ظَنْت ذاك: أي ظننت «هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأجوف والناقص»[4].

الجبّ تطورت الى الجوْب (القطع)
دسّس تطورت الى دسّ (وقد خاب من دسّاها).
تسرّر تطورت الى تسرّى.
(وليملل الذي عليه الحق) تطورت الى (فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً).

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء.

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال واشتقاقها بعضها من بعض، بل نرى من (الأفعال) ما تطور إلى (حرف) خالص، انظر مثلاً:

البدويُّ على الجبلَ - فهي فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول[5]: البدويُّ

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ د. مصطفى جواد.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ للأستاذ حامد عبد القادر، ونشرت بمجلة المجمع ج ١١
(٤) حروف تشبه الحركات. د. ابراهيم أنيس، ونشرت بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٦
(٥) البحوث والمحاضرات دورة ٣٣ مجمع اللغة العربية: من دلائل القدم في العربية. د. عبد الستار الجواري

على الجبلِ فهي نفسها حرف جر، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالاً.

كما كان الأصل الاشتقاقي محك خلاف بين البصريين والكوفيين، فيرى البصريون أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه، والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر فرع عليه.

**وحجة البصريين منها:** أن الفعل يدل على الحدث والزمان، فلو كان المصدر مشتقاً من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقا منه.

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدراً، والمصدر هو الموضع الذي يصدر عنه.. فلما سمي مصدراً دل على أن الفعل قد صدر عنه، وكذلك احتجوا بأن قالوا: بأن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل.

**كما أحتج الكوفيون بأدلة منها:** أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول: قاوم قياماً ـ فيصح المصدر لصحة الفعل، وتقول: قام قياماً ـ فيعتل لاعتلاله، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه. كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيداً للفعل، ولا شك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع[1]... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا، وأرجح رأي الكوفيين في هذا النزاع مسترشداً بما يلي:

١ ـ ما يراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف، أو أكثر، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة.

٢ ـ ان العقلية الفعلية ـ قد سادت على اللغات السامية، لأن لأغلب الكلمات في هذه اللغات مظهرا فعليا. ففي الساميات، الفعل هو كل شي[2]، أما من ذهب إلى أن أصل المشتقات هو المصدر ـ فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية، والأصل في الاشتقاق عند الآريين هو: المصدر ـ فعلماؤنا متأثرون ومقلدون.

وليس النزاع الذي ذكرنا طرفا منه وحده فحسب، بل وقع خلاف في دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم: إن المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة، إذ المشتقات متعلقات بالأفعال،

---

(١) الإنصاف لابن الأنباري: مسألة ٢٨.

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ ولفنسون

ومتى ثبتت فرعية المتعلق، ثبتت فرعية المتعلق، وقال جماعة منهم السيرافي: إن المصدر أصل للفعل، ولكنه ليس أصلاً للمشتقات، بل الفعل هو الأصل للمشتقات، إذ لا يلزم من كون الفعل متفرعاً عن المصدر، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر، بل ينقل السيوطي عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن: كل الكلم مشتق، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن: الكلم كله أصل!! وإذا كنا قد رجحنا رأي الكوفيين فلا زال الطريق شائكا، فأي الأفعال هي الأصل؟ يذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن اسم الفاعل هو الأصل، وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هي أصل اشتقاق الأفعال. أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضي هو الأصل، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل، وآخرون يرون أن فعل المستقبل، إلى غير هذه الآراء. كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل في العربية إنما هي تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل(١)، أو أن الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معاً، ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد، ويستقل بإضافة فكرة الزمن، ويرى نفر من العلماء أن ننظر إلى (الجذر)(٢) وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقي، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها في شيء معين، والقدر المشترك بين الكلمات المترابطة. وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة، فأنت إذا نظرت إلى: ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب، رأيت أنها تشترك في (ض ر ب) وتتفرع منها، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التي تتفرع منها الكلمات: فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول الخ صور من صور التعبير الشكلي للمادة التي لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الإسمية.

وفي كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعاني، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهي أسماء معان جامدة، ففي المخصص(٣): كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم. كما اشتقوا من أسماء الأزمنة ففي اللسان(٤): وأخرف القوم - دخلوا في الخريف. كما اشتقوا من أسماء الذوات: يديته: ضربت يده، فهو ميدي، ويُدِيَ: شكا يده(٥)، ومن العجيب أن العرب قد اشتقت من الحرف، ففي الخصائص(٦): سألتك حاجة فلوْليْتَ لي: أي قلت لي (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من لو + لا، ومعنى ذلك أن (الأصل) في اللغة متعدد، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف.

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١ د. السامرائي

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٨٢ د. تمام حسان

(٣) ١٧/١٢٩

(٤) ١٠/٤٠٩

(٥) اللسان ٢٠/٣٠٣

(٦) ص ١/٤٣٦

وفي المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبراً، كما روي عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر. والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده ـ حسب حاجة اللغة واستعمالاتها في حضارتها وبداوتها.

**ملحوظتان:**

١ ـ اذا ترددت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما، وله وجوه:
أ ـ كون أحد الأصلين أشرف
ب ـ كونه أخص فيرجح على الأعم.
جـ ـ كونه أسهل وأحسن تصرفاً
د ـ كونه أليق.

٢ ـ قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل المشتق منه تغييرات منها:
أ ـ زيادة حركة كعَلِمَ من العلْم
ب ـ زيادة مادة: كطالب وطلب
جـ ـ زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب
د ـ نقصان حركة كفرْس من الفرس.

(راجع القائمة في المزهر للسيوطي)[١].

**مسائل وقضايا حول الأصل الاشتقاقي:**

هناك كلمات شائكة الدلالة؛ لأن وجهات النظر تختلف فيها، وأيسر شيء لدى اللغويين الاشتقاقيين أن يربطوا بين مواد لغوية زعموا أنها اشتقت منها، وما ذلك إلا لأنهم فتنوا بالعربية حتى سمت على كل لغات البشر. وأما اللغات الأخرى غير العربية «فإن القول بأنه لها أي فضل يعتبر قولاً منبوذاً عند أهل الملل»[٢]

ومن هذه الصيغ التي ردُّوها الى العربية التي اشتقت منها:

أ ـ «جنات عَدْن»[٣] فاشتقت من: عَدَنت الإبل بمكان كذا وكذا، إذا ألفته ولزمته، ومنه قيل لمعدن الذهب والفضة: معدن، لأن جوهر الذهب والفضة يثبت فيه. لكن الواقع أن (عدن)ورد ذكرها في سفر التكوين[٤] «وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً...» فهي علم على مكان [٥]. وعن جو يبر في تفسيره المعرّب أنها بالرومية، وقيل: بالسريانية، وفسرت

---

(١) ص ١/٣٤٩
(٢) كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ١٧/١
(٣) سورة مريم: ٦١، وطه: ٧٦
(٤) الإصحاح الثاني: الآية ٨ـ٩
(٥) كتاب الزينة ٢/٢١٠

بالكروم والأعناب [١]. فكيف إذن تشتق (عدن) عند علماء العربية من (عَدَن) بالمكان، إذا أقام وخلد به. بل يذهبون أكثر من ذلك حيث يقولون: يَعدِن ويَعدُن: لغتان!! فالكلمة ليست عربية حتى يمكن ردهاإلى أصل عربي.

ب ـ من المعروف في الدراسات اللغوية المقارنة أن السين في العبرية والآرامية تقابلها الشين في العربية، وقد وردت (سكينّ) في العبرية، و(سكِّينا) في الآرامية، والكلمة (سكِّين) دخيلة في العربية، انتقلت إليها من الآرامية بسينها، ولو كانت الكلمة أصيلة في العربية لقيل: (شكين) بالشين[٢]، وعلى الرغم من أن الكلمة دخيلة إلا أن ابن جني يشتق منها حيث يقول: «وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به»[٣].

ومن ذلك قول ابن جني في (المِسْك) بأنه فِعْل من: أمسكت الشيء كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسّة عليه، ولا يعدل بها صاحبُها عنه[٤]. فابن جني يشتق منه على الرغم من كونه فارسياً.

وإذا كان (الإريس) بمعنى الأكار ليست عربية فلا عبرة بالفعل (أُرَس) بمعنى: صار أكارا، لأنه مشتق من الاسم المعرّب[٥].

ومن ذلك صيغة (مِيناء) فقد خلطت المعاجم في أصلها واشتقاقها ومدّها وقصرها، فبعضها ذكرها في مادة (مون) أو (مين) لأن الميناء هو مرفؤ السفن حيث تموّن فيه.

واللسان يذكرها في (وَنَى) حيث يقول: وهو مفعال من الوَنَى، وهو الضعف والفتور، وكأن السفن تنى فيه، أي تفتر عن سيرها، والميناء يمدّ ويقصر كذلك. ويرى نفر من الباحثين أن كلمة (مينه) في المصرية القديمة هي المرسى للسفن، ورسمها الرمزي عندهم: مركب أو سفينة، والحفريات والآثار تؤكد أن مصر أول أمة استخدمت الملاحة والنقل النهري وإقامة المراسي على الشواطىء، وما زالت حيث كانت تحمل السفن من مرساها الفول الذي تنتجه أرض الصعيد. ومثلها كلمة (المنيا) في الصعيد تحمل اسم: منية الفولى، منيا القمح، على بحر مويس، أو بحر موسى في الشرقية، وكانت المرسى التي تحمل منه السفن محصول القمح في الدولة القديمة في: بويسطه وصا الحجر[٦]. فالكلمة ليست عربية، ومن التعسف أن تردها المعاجم في الاشتقاق إلى أصل عربي.

جـ ـ وهناك صيغ كثيرة وقع فيها خلاف كبير حول الأصل الذي اشتقت منه، و لا سيما في

---

(١) المتوكلي للسيوطي ٨، ٩ (ط دمشق ١٣٤٨هـ)

(٢) نصوص في فقه اللغة العربية ١٨٣/١، دكتور يعقوب بكر ـ هامش.

(٣) الخصائص ٢٦٧/٣

(٤) الخصائص ١٦٨/٢

(٥) دراسات مقارنة في المعجم العربي ٨٦ وما بعدها، للدكتور يعقوب بكر (بيروت)

(٦) صحيفة الأخبار القاهرية (٣٠ مايو ١٩٧٣ م)

الألفاظ المعرّبة:

١ ـ فالميزاب، ومعناه بالفارسية: بُل الماءَ، رَأْي أنه من أصل فارسي، ورأي يرى أنه من أصل عبري، ومن دعاة العربية ابن فارس، ومن دعاة الأصل الفارسي الأصمعي.

٢ ـ إبليس، أصله يوناني معرّب، وبعضهم يرى أن الأصل عربي.

٣ ـ جهنّم، عبرية الأصل، وقيل: أصلها عربي[١].

٤ ـ خِوان، فارسي، وحكي عن ثعلب أنه قال وقد سئل: أيجوز أن يقال: إن الخوان سمي بذلك لأنا نتخوَّن ما عليه، أي نتنقصُّ؟ فقال: ما يَبْعد ذاك[٢].

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى قول أبي بكر محمد السريّ السراج في رسالة الاشتقاق[٣] في (باب ما يجب على الناظر أن يتوقاه ويحترس منه) قوله: «ومما ينبغي أن يحذره (الناظر) غاية الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء قد أخذ من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت» ويقول ابن جني في المحتسب[٤]: «وإذا جاز للعرب أن تخلّط في العربي وهو من لغتها فكيف يكون ـ ليت شعري ـ فيما ليس من لغتها؟!».

والحقيقة أن دراسة (الأصول) تحتاج إلى معرفة دلالات المادة في الساميات وتطورها، والعرب لم يكونوا على معرفة كاملة لبعض اللغات السامية، ولهذا استعانوا بالاشتقاق لالتماس التخريجات لتلك الألفاظ، وفسّروها كما لو كانت عربية محضة كما سبق.

د ـ وهناك صيغ كان الأجدر بها أن تظل بمنأى عن فرع الاشتقاق، ، من ذلك:

١ ـ قولهم في الإتباع: شَيْطان ليطان ، وخراب يَباب، وحَسَن بسَن، وجائع نائع[٥]، والغرض من هذا الإتباع تأكيد الكلمة الأولى عن طريق المجانسة الصوتية، مع مخالفة في بعض الحروف، وقد سئل بعضهم عن ذلك فقال: هو شيء نَتِرُ به كلامنا، أي نقوي به كلامنا.

ولكن نفرا من اللغويين حاول جاهداً أن يأتي (بأصل) للكلمة الثانية، ويوضح اشتقاقها، فليطان، من لاط بقلبي يلوط، أي لصق، كما حاولوا أن يجدوا أصلاً ومعنى لكلمة (بَسَن) وهو من: بَسَّ السويق[٦].

ومما يؤكد أن الكلمة الثانية لا معنى ولا

---

(١) المعرب للجواليقي ١٠٧ (تحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ دار الكتب المصرية)
(٢) نفسه ١٢٩
(٣) ص ٣١ (ط. دمشق)
(٤) ص ٨٠/١
(٥) المنصف لابن جني ٣٢٥/٢ (ط. إحياء التراث)
(٦) الكافي في اللغة ٥٥، طاهر الجزائري (ط. كردستان) القاهرة ١٣٢٦ هـ.

اشتقاق لها ما جاء في الجمهرة[1]:

«قال أبو بكر: سألت ابا حاتم عن (بَسَن) فقال: لا أدري ما هو». وابو حاتم بقوله: «لا أدري» تخلص من التعسف، وأمن العثار الذي تردى فيه آخرون حين أرادوا المخارج فوقعوا وأوقعوا في المحارج.

٢ ـ بل حاول كثير من اللغويين أن يرجعوا أسماء الأشخاص والقبائل إلى أصول لمجرد الاشتراك في الأصوات، ومن هؤلاء ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) وإليك نماذج التقطناهـا من هذا الكتاب:

أ ـ عَكّ ـ من قولهم: علكَّ يومنا، إذا اشتد حره[2].

ب ـ هجيم ـ من قولهم: هجمتُ البيت، اذا هدمته[3].

جـ ـ هُذَيل ـ يقال: هَوْذَل الرجل ببوله، إذا اضطرب بوله فقد هوذل[4].

ثم نراه يتخبط في الاشتقاق، ويكثر من الزعم كما في حديثه عن (حمير)[5] مع أن لغة حمير مخالفة للغة مضر وربيعة. ولا شك أن كثيرا من علمائنا حاولوا وتكلفوا وتسكعوا في بنيات الطرق، ذات اليمين وذات الشمال حتى ربما قالوا قولا في لفظ، ثم قالوا خلافه في نظيره [6].

## ب ـ الأصل التاريخي [7]

أشرت في أول الكلام إلى الأصول المتخيلة تلك التي أخذ بها علماؤنا الصرفيون ثم سرنا شوطاً طويلاً مع الأصول والفروع في كثير من أبواب الصرف والعربية، والحديث الآن عن نوع جديد وهو (الأصل التاريخي) والهدف منه أن نقتفي آثار الصيغة في أطوار حياتها، وما أصابها عبر التاريخ، وأرى أن البحث في مثل هذا أجدَى من حديث علماء الصرف في الأصول التي تخيلوها في باب الإعلال. وسأكتفي بمثل يسيرة:

١ ـ ذكر أبو الطيب اللغوي في كتابه الإبدال أنه يقال: ولد فيالدَّفَىءِوطيىءتقول: في الدَّثَىءِ إذا ولد في الشتاء وقبل الصيف. وأرجح أن الصيغة بالثاء أصل، ففي اللغات العربية الجنوبية القديمة: دثأ ـ معناها الربيع أو محصولات الربيع.

وهو معنى (دَشْأ) و(ديشُ) في الأكدية بمعنى العشب الكثيف.

(١) ص ٣/ ٤٢٩

(٢) الاشتقاق ٢٨٧ (ط. وستنفلد)

(٣) المرجع السابق

(٤) الاشتقاق ١٠٨، وانظر: مادة عكل وتميم ومهرة بن حيدان وعزرة وكندة

(٥) الاشتقاق ٣٠٦

(٦) انظر: المزهر ٣٥٣/١، ٣٥٤ حيث زعموا أن الثوب إنما سمى ثوبا لأنه ثاب، أي رجع لباسا بعد أن كان غزلا!

(٧) انظر حديثا قيما في: دراسات في علم اللغة. القسم الثاني ١١٣ فما بعدها. دكتور بشر. ط دار المعارف بالقاهرة

وفي العبرية (دِشأ) بمعنى العشب الغض وفي أرامية العهد القديم والأرامية اليهودية (دِتْثا) والثاء في العبرية تكون شينا في الأكدية والعبرية، وتاء في الأرامية[1].

٢ ـ يقول السيرافي في شرحه على الكتاب[2] «كلمة ست في العدد أصلها سِدْسٌ ودعاهم إلى ذلك كثرة استعمالهم إياه في كلامهم، ولأن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوي، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سيناً فتلتقي السينات، ولم تكن السين تدغم في الدال لما ذكرت لك فأبدلوا من السين أشبه الحروف بها من موضع لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء كأنه قال: سِدْتٌ ـ ثم أدغموا الدال في التاء[3].

أما النظرة الحديثة فترى أن الأصل: سدت ـ كما هي في اللغات اليمنية القديمة والأجريتية شبهت الدال بالثاء بالانقلاب إلى الهمس بدل الجهر، وشبعت الثاء بالدال بالانقلاب إلى الشدة بدل الرخاوة فصار الحرفان تاءين وأدغمت التاء في التاء، فالدال شديدة مجهورة والثاء مهموسة رخوة، والتاء شديدة مهموسة فقلبت الدال تاء لتتشابه مع الثاء في الهمس، وقلبت الثاء تاء لتتشابه مع الدال في الشدة.. والسين النهائية في سادس كانت ثاء.. وقد قلبت سينا لتتشابه مع السين الأولى، وكلاهما مهموس رخو.

٣ ـ ورد عن أبي عبيدة عن يونس: أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبي عليه السلام، والبرية، والذرّية[4]. وزاد ابن سيده كلمة أخرى وهي: الخابية[5] فالعرب تركت الهمز فيها إلا أهل مكة، فإنهم يهمزون هذه الأحرف، ولا بد قبل الحكم عليها من تحليلها: فالبرية: معناها الخلق، وهي من برأ الله الخلق، فأصلها على ذلك الهمز، وقد تأخذ من البري ـ وهو التراب، أصلها غير الهمز والياء أصلية[6].

والنبي: أصله من النبأ وقد جمع على: نبئاء فأصله الهمز، وينقل ابن سيده عن سيبويه قوله: وليس أحد من العرب إلا وهو يقول: تنبأ مسيلمة. ولكن كيف يتفق هذا (أي أن الأصل فيه الهمز) مع ما روي من أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) يا نبيء الله ـ بالهمز فقال له: لا تنبر باسمي: أي لا تهمز[7]، وقد يكون الرسول إنما كره (النبيء) بالهمز، لأنه توهم أنه من: نبأ من

---

(١) نصوص في فقه اللغة العربية ٢/ ٢٩٤ ط بيروت. د. يعقوب بكر.

(٢) ٦/٥٩٣ مخطوط بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو

(٣) انظر الكتاب ٢/ ٤٢٨ ط أولى

(٤) إصلاح المنطق ١٥٩

(٥) المخصص س ١٧/١٥٣، س ١٤/٨

(٦) اللسان ١/٢٢

(٧) اللسان ٧/٤٠

أرض إلى أرض، والمعنى: يا من خرج من مكة إلى المدينة على غير وجه التكريم. على أن شبهات حامت حول هذا الحديث (١) كما أن الرسول ﷺ سمع من ينشده:

يا خاتم النبئاء إنك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

ولم يعترض على هذا. وفي شرح المفصل(٢): أن التخفيف لازم لكثرة الاستعمال بحيث صار الأصل (الهمز) مهجوراً. وبعضهم يرى أنه من النباوة أي الرفعة، فلا يكون على هذا أصله الهمز ولا تخفيف فيه، ومن الذي أصله الهمز (الذرية) إذا أخذت من ذرأ الله الخلق، فإن أخذت من الذرّ والياء للنسب، فلا تكون الهمزة فيها أصلية(٣)

٤ ـ ترعة: الباب بالسريانية، ثغْر: اي فمّ واشتقاقه من: ثغره يثغره بمعنى شقه. وهما من أصل واحد فالثاء في العربية تقابل التاء في الأرامية والشين في العبرية، فالمادة العربية (ث غ ر) تقابل العبرية (شَ عَ رَ) أي باب والآرامية (ت ع ر) ومدلول المادة في الساميات: الباب أو الفتحة أو الشق. وفي اللسان: (ترع) «إن منبري هذا على ترعة من ترع الجنة» حديث شريف والترعة: الباب: والصيغة الآرامية تحولت بالقلب المكاني إلى (ت ر ع) وألحقت بها الفتحة الطويلة للتعريف فصارت (ت ر ع ا)، وفي العربية حسبنا أن الفتحة الأخيرة التي على العين هاء تأنيث وعاملناها على ذلك، مع أنها في الأصل علامة التعريف(٤).

٥ ـ ركْبة ـ نراها في الأكدية Girke وفي العبرية Gerek وفي الآرامية Gurka وفي الحبشية Gerk (التطور النحوي ص ٢٢ برجشتراسر) لكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة (ركبة) وهي الفرع، وأعرضت عن الأصل (بركة) بدليل قولنا في العربية (برك الجمل). ويلاحظ أن معرفة الأصل والفرع لا يكفي فيها فحص (المادة) وحدها كما تقدم من الأمثلة، بل لا بد من ملاحظة (الدلالة) وتتبعها على مدى التاريخ الطويل، إذ المعنى عنصر أساسي عبر عنه الإنسان بهذه الألفظ والأصوات.

فالاعتماد على المعنى ـ في معرفة الأصل والفرع ـ من الأهمية بمكان لا يقل، إن لم يزد، عن الاعتماد في الاقتصار على معرفة الألفاظ والأصوات وحدهما في ذلك، فالمعنى إذا كان عاماً مبهمًا كان ذلك دليلاً على أن اللفظ ضارب في القدم سابق. أما أنواع التخصص في المادة والتأنق فيها في خيال الإنسان لمعنى لاحق، وطور متأخر، خذ مثلاً كلمة (اللبن) فتخيل الإنسان لها يجب ان يكون أقدم من تخيل الفروق

---

(١) الإتقان للسيوطي ١/١٠٠ ط حجازي.
(٢) ١٠٩/٩
(٣) انظر المخصص ١٤/٨، اللسان ٣١/١
(٤) علم اللغة بين التراث والمناهج ٨٧ د. محمود حجازي المكتبة الثقافية. القاهرة.

بين أنواع اللبن، من السملج[1] (الحلو الدسم) والسامط (ذهبت عنه حلاوة الحليب ولم يتغير طعمه) والقوهة (تغير قليلاً وفيه حلاوة) والممحل (إذا أخذ شيئاً من طعم) والخامط (إذا أخذ شيئاً من رائحة) والهجيسة (يحقن في السقاء الجديد ويشرب قبل أن يحمض) ومن ذلك أيضاً كلمة الخاثر - فهو أقدم من تخيل الفروق بين أنواع الخاثر من العكلظ أو العثلط (خثر جداً أو تكبد) والملهاج (لم تتم خثورته) والمجثر (تحبب وانقطع) والهادر (خثر أعلاه واسفله دقيق) والإدل (تكبد ولم ينقطع) والممذقر (الماء ناحية واللبن ناحية) والمطثر (علا زبده وخثوره) والهجيمة (الخاثر من لبن الشاة) والروب (الخاثر لم ينزع زبده) والمظلوم (ما يشرب قبل الروب).

فكل هذه المعاني من تخصيص وتحديد وحضارة نشأت في طور متأخر عن معنى (اللبن) وهو المعنى العام، ولعل بعض المتخصصين والمتفننين في صناعة الألبان كان يخفى عليه بعض هذه الأنواع للبن، فقد حكى ابن خالويه عن نحوي بغيض كان يتكلم بالإغراب إلى بائع اللبن يريد لبنا غليظاً فقال: يا لبان، أعندك لبن عثلط علبط عجلط[2]؟ فقال له اللبان: تنصرف أو تصفع؟ أو ربما بعضنا ممن نشأ في المدن لا يعرف معنى كلمة (شرش) وهي نوع من اللبن أيضاً.

وبهذا كله يكون فهمنا أكثر اتساقاً مع الواقع اللغوي، واعتماداً على التحليل العلمي ورعاية لظروف التطور التاريخي، والساميات أخوات العربية.

٦ - إن كثيراً من الظواهر اللغوية تسربت من الساميات إلى العربية، ونعرض هنا ظاهرة واحدة تتصل بالأصل التاريخي لضمير المتكلم:

١ - في كتاب تاريخ صنعاء لإسحاق بن جرير الصنعاني[3] أن أم وهب بن منبه قالت لابنها: رَأَيْكُ بنحلم كولدْكُ ابناً من طيب[4].

٢ - وفي الجزء الثاني من الإكليل:

أني سمعة (أو شمعة) بنت ذي مراثد كُنْكُ إذا وحمك[5].

٣ - روى الأصمعي قال الفرزدق: رأيت أعرابياً بمكة ومعه عجوز وغلامان وهو يقول:

(أنك وَهَبْكَ زائداً ومزيداً)[6].

والعجوز تقول: إذا شِئْكَ إذا شِئْكَ!

٤ - وروى أبو زيد: سمعت أعرابياً يقول لآخر:

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢٢ من مقال للدكتور محمد كامل حسين.

(٢) العثلط أو العكلط: ما خثر من اللبن أو تكبد.

(٣) لوحة ١٦٧

(٤) الطيب: الذهب بالحميرية. والمعنى: قالت: رأيت في الحلم كأني ولدت ولداً من طيب Rabin: Ancient West Arabian p.48

(٥) والمعنى: كنت إذا اشتهيت.

(٦) والمعنى: أنت وهبت زائدا ومزيدا، وإذا شئت، إذا شئت إبدال أبي الطيب. ١٤٧/١

سُؤْكُ بك ظنّا[١].

٥ ـ وروى ابن قتيبة[٢]: أن سحيما عبد بنى الحسحاس الشاعر العربي المخضرم كان إذا أنشد شعراً جيداً يقول: : أحسنك[٣] والله.

٦ ـ يقول ابن جني: وأنشدنا أبو علي:

يابن الزبير طالما عَصَيْكا
وطالما عَنَّيْتَنا إليْكا
لنضربَنْ بسيفنا قَفَيْكا[٤]

وفي نوادر أبي زير[٥] أن الابيات لرجل من حمير. وفي إبدال أبي الطيب[٦]:

(وطالما دَعَوْكَنا إليْكَا)

أي دعوتنا.

**وتحليل هذه الشواهد:**

أ ـ أن بعض اللغات السامية كانت تستخدم الكاف ضميراً متصلاً للمتكلم المرفوع، وقد بقي ذلك الاستعمال وعاش في اللغات: الأكلدية والحبشية والحميرية كما تصورها الكتب العربية. وفي بعض لهجات جنوب بلاد العرب الحديثة، كالمهرية والشحارية والسّقطرية والبوتاحادية والحرسوسية، وكذلك في قضاء حراز غرب صنعاء، وقضاء الطويلة شمال غرب صنعاء. كما أن بعض الجماعات السامية الأخرى استخدمت الكاف ضميراً متصلاً للمخاطب المرفوع قياساً على كاف المتكلم، ثم فرقت بينهما بالحركات فضمّت كاف المتكلم في الفعل الماضي، وفتحت كاف المخاطب.

وبعض الجماعات السامية رأت أن هذه الكاف التي كانت تستخدم للمتكلم المرفوع تلتبس بكاف المخاطب فاستغنوا عنها، واستخدموا التاء كضمير متصل مرفوع للمتكلم، وحركوها بالضم للتفرقة بين المتكلم والمخاطب. أما العربية فجانست بين المتكلم والمخاطب فاستخدمت التاء للمتكلم والمخاطب مضمومة للمتكلم، ومفتوحة للمخاطب[٧].

ب ـ ويعلل ابن جني لذلك فيقول: أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس[٨]، ويقول الأخفش: إن شئت قلت: أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس، وإن شئت قلت: أوقع الكاف موقعها وإن كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل، لإقامة القافية. وقال ابن هشام: و ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما زعم الأخفش

---

(١) والمعنى: سؤت.
(٢) الشعر والشعراء ٢٤١
(٣) يعني: أحسنت (سر الصناعة ٢٨١/١)
(٤) خزانة الأدب ٤٢٨/٤ (تحقيق عبد السلام هارون)
(٥) ص ١٠٥
(٦) ص ١٤٧/١ (وتحقيق عزالدين التنوخي- دمشق)
(٧) ضمير المتكلم المرفوع. د. خليل نامي- فصلة من مجلة كلية الآداب م ١٩ ج ١
(٨) سر الصناعة ٢٨١

وابن مالك، وإنما الكاف بدل من التاء بدلا تصريفياً[١].

جـ - يرى بعض علمائنا المحدثين أن تعليل علماء العربية القدامى لوقوع الإبدال بين التاء والكاف غير صحيح، إذ الكاف من أقصى اللسان، والتاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، ولا نعرف في الساميات التبادل بينهما[٢].

د - أن الكاف هي الأصل في تاريخ الجماعات السامية القديمة للمتكلم والمخاطب، والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هي الأصل لافترضنا أنها قلبت كافا في بعض اللغات السامية بغير علة مفهومة، أما إذا كانت الكاف هي الأصل فهمنا سبب ابدالها تاء بسهولة وهو: أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضاً قياساً على المخاطب، ويؤكد ذلك أن الكاف لا تزال على حالها في بعض اللغات السامية[٣]، وأن الضمير الأصلي في أقدم اللغات السامية هو (كو) وليس (تُو).

أما علماء العربية القدامى فيرون أن التاء، هي الأصل، وأنها قلبت كافاً، وعذرهم في ذلك أن الدراسات المقارنة لم تظهر في زمنهم، بدليل أنهم كانوا يصفون هذه الظواهر بقولهم: هي لكنة أجنبية!

٧ - ومن الأصول اللغوية التاريخية التي لم يخالف علماء العربية التوفيقُ فيها أنهم عندما وجدوا صيغاً مختلفة عن الفصحى من مثل: (هويّ) بدلا من هوايَ، و(قفيَّ) بدلا من قفايَ، و (عَصَيَّ) بدلا من عصايَ، و (فتيَّ) بدلا من فتايَ، و(بُشريَّ) بدلا من بُشرايَ، و(محيَّ) بدلا من محيايَ، و(هديَّ) بدلا من هدايَ في لهجة هذيل عللوا ذلك بقولهم: إن الألف انقلبت الى الياء في لهجة هذيل.

وقد وردت للهجة شواهد شعرية كثيرة[٤]، وأيَّدتها قراءات قرآنية[٥]، ولهذا يصفون هذه الظاهرة بالجواز مرة، وبالحسن مرة أخرى[٦].

ومفاد كلام النحاة أن الألف هي الأصل القديم في الكلمات السابقة، وأن الياء تطورت عنها، ولا نوافق النحاة على رأيهم لما يأتي:

١ - أن العكس هو الصحيح، والياء هي الأصل التاريخي، لوجودها في كثير من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى الألف، ومما يؤيد ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تقول: هذه أفعو، وبعضها يقول: هذه أفعيْ، وآخرون

---

(١) الخزانة ٤٢٩/٤

(٢) دراسات في اللغة العربية ٨٦ه د. خليل نامي (دار المعارف) ولكني أرى جواز التبادل بين التاء والكاف لاتحادهما في الصفة وهي: الشدة والاصمات والانفتاح والهمس والاستفال، وإن اختلفا مخرجا، أما القول بالتبادل بينهما هنا بين الضميرين التاء والكاف فلا أراه لما سبق تعليله

(٣) الفلسفة اللغوية: جرجي زيدان ١١٨ هامش. (دار الهلال).

(٤) ديوان الهذليين ٢/١، وشرح ابن عقيل ٧٣/٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ٥/١ فما بعدها، والبحر المحيط ١٦٩/١، وحاشية الأمير على المغني ٩٧/٢، وجمهرة ابن دريد ٤٨٨/٣، والمحتسب لابن جني ٤١٧/١، مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير.

(٥) انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥، ٦٢، والبحر ٢٦٢/٤، ٢٩٠/٥

(٦) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦ ط. مكة، وحاشية الصبان على الأشموني ١٨٥/٢ (ط الميمنية).

ينطقونها: أفعأ بالهمز[١]. ويؤكد ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما حين قيل له: إني قتلت حيَّة وأنا محرم، فقال: هل نهشت إليك؟ قلت: لا، قال: لا بأس بقتل الأفعو، ولا برمي الحدوْ[٢].

وهذا هو الطور الأول من أطوار النطق، والأصل التاريخي له، ثم تطور في الفصحى إلى الألف فصار: افعى، عصا، قفا، فتى. ومعنى هذا أن الفصحى تخلصت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au (أَوْ) و (ai)(أَيْ) إلى الفتح (ā).

٢ ـ أن الصفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأفعال مثل (بكىَ ونجىَ وأَتىَ ورعىَ وبنىَ) ألفا، وإنما كانوا ينطقونها ياء فيقولون: بكيْ ورعيْ وأتيْ[٣]، وهذا يؤكد أصالة الياء، عكس ما رآه النحاة حين قالوا بأصالة الألف.

* * *

## جـ ـ في تاريخ الصيغ

**أولا**: ان اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات، فهي تتطور وتتغير بفعل الزمن على ألسنة المتكلمين بها، وحسبنا أن نثبت ذلك من خلال ما سمّي بصيغة (الافتعال) فهي تتأثر بالأصوات المجاورة لها، لتيسير عملية النطق، والدليل على ذلك:

أ ـ أن بعض العرب يقول: قد اتّغر. وبعضهم يقول: قد اثّغر ـ بالثاء[٤]، ولتفسير هذا التطور نرى أن الأصل: اثتغر ـ اجتمعت الثاء والتاء وهما مهموسان ولا يجمع بين عمليتين متناقضتين، اذ النطق بالثاء يقتضي الصفير، وبالتاء يقتضي الانفجار، فانتقل مخرج الثاء الى التاء، وبهذا اتحد الصوتان في الشدة والمخرج والهمس، فتمّ الادغام، وصارت (اتّغـر): بالتاء، وذلك أيسر، لأن فيها اقتصادا في الجهد العضلي. ويشبه ما سبق ما جاء عنهم من: أَتّئِر، وأَثّئِر[٥].

ب ـ ما روي عنهم من قولهم: عليك بأبوال الـظّبـاء فـاصّعِـطْهـا، فـإنها شفـاء للطحل »[٦]. وقد اجتمع في الصيغة صوتان مهموسان: الصاد والتاء، فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء فصارت «اصطعط» ثم زاد تأثر الطاء بالصاد فصارت «اصّعط» وهو أيسـر؛ لعمل اللسان فيها من وجه واحد، فأوجد صيغة أيسر، ومما يلاحظ أن بعض هذه الصيغ

---

(١) الكتاب ٢٨٧/٢ (بولاق) وشرح السيرافي على سيبويه ٤٤٠/٥ (مخطوط بالتيمورية رقم ٥٢٨ نحو) وشرح الحماسة للمرزوقي ٨٢٩٢، والهمع ٢٠٦/٢، وشرح التصريح ٣٣٩/٢،

(٢) الفائق في غريب الحديث ١١٩/١ جار الله الزمخشري (دار احياءالكتب العربية ص. أولى)

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٥/٧ د. جواد علي

(٤) معاني القرآن للفراء ١ / ٢١٥ دار الكتب.

(٥) سرّ صناعة الاعراب ١ / ١٩٠ لابن جني.

(٦) معاني القرآن ١ / ٢١٦ دار الكتب.

يمثل فترة زمنية أقدم من الصور الأخرى من ذلك:

صيغتان من صيغ الأفعال وردتا بصورتين مختلفتين وهما «تفعلّ وتفاعل، الى جانب: اتفعّل واتفاعل» والصيغة الأولى هي القدمى، وورد منها في النصوص القديمة والتراث والقرآن الكريم الكثير من مثل قوله تعالى: «وما يتذكر إلا من ينيب»، «ثم دنا فتدلّى»، «فمن تصدّق به فهو كفّارة له»، «قالوا تقاسموا بالله» كما ورد من الصيغة الثانية وهي الأحدث قوله تعالى: «حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينتْ»، «بل ادّارك علمهم في الآخرة»، «اثّاقلتم الى الأرض» بل إن الصيغتين القدمى والمتطورة نجدهما في نص قرآني واحد في قوله تعالى: «ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب» وذلك يؤكد أن التطور في الصيغ لا يظهر فجأة، ولا يقضي على القديم بين عشية وضحاها[1].

ومثل هذا التطور نلمحه فيما يروى من قراءات قرآنية: «وادّكر بعد أمة»[2]، وقراءة الحسن بالذال[3]. «وما تدخرون في بيوتكم»[4]، وقراءة أخرى «بالذال»[5] وما رواه الكسائي عن بعض العرب: «الطريق ياتَسق ويا تَسع»[6]. وما روي عن الشافعي في الرسالة[7]: وأخرى موتفقة، وقوله: وتختلف سننه وتاتفق[8] وقوله: إيتفق المقايسون في أكثره»[9]. وهذه الصيغ السابقة في الفصحى نراها على الترتيب:

يتّسق ويتّسع، متّفقة، تتّفق، اتفق. وهي متطورة عن الصيغ القديمة السابقة، وعلل بعض الباحثين[10] الصيغة التي أبدلت فيها الواو والياء ـ تاء بقوله: لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء، وبعد الفتحة ألفا، وبعد الضمة واوا، فلما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها ـ أبدلوا منها حرفا يلزم وجها واحدا ـ وهو التاء «كما يلاحظ في قانون التطور: إنْ أثرَّ الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مقبل) وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر)، كما قد يكون التأثر (كليا) أو (جزئيا)، وقد يسميه بعضهم (تقدميا) أو (رجعيا) وما سبق يؤكد لنا مسار الصيغ وتطورها بين

---

(١) التطور اللغوي: للدكتور رمضان عبد التواب، مقال له في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ج ٣٣.
(٢) يوسف ٤٥.
(٣) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٥.
(٤) آل عمران ٤٩.
(٥) تفسير الطبري ٦/ ٤٣٦ تحقيق محمود شاكر.
(٦) سر الصناعة ١/ ١٦٥.
(٧) ٢١١.
(٨) الرسالة ٣١ ط أولى تحقيق الشيخ أحمد شاكر.
(٩) المرجع السابق ٤٧٩.
(١٠) الجاسوس على القاموس ٥٣٥ ط الجوائب ١٢٩٩.

الأجداد والأحفاد، ويقوي منافذها ومسالكها بين السالفين والخالفين.

ثانياً: - ما جاء في كلمة (المرء) حيث حرفت في المصادر المختلفة معزوة إلى قبيلة هذيل، فقد ورد في شعر أبي خراش الهذلي:

جمعت أموراً ينفذ المرّ بعضها:

من الحلم والمعروف والحسب الضخم

وعقب الشارح عليها قائلاً: اَلمرَّ - لغتهم. وفي اللسان(2) ساق البيت السابق وضبطه (المرء) بكسر الميم وبالهمز، ثم عقب عليه «هكذا رواه السكري بكسر الميم وزعم أن ذلك لغة هذيل(3) » وأمام هذا التناقض قمت بإحصائية في ديوان هذيل(4) متعقّباً كلمة (المرء) فيه وهي:

أ- (المر) وردت مرة واحدة من غير همز وبالتشديد، في شعر أبي خراش(5) الهذلي.

ب- (المرء) وردت مرة واحدة في شعر أبي خراش في الشاهد السابق، بكسر الميم وبالهمز.

جـ -(المرء) ضبطت في نسخة بكسر الميم وفتحها مع الهمز(6).

د- (المرء) وردت عشر مرات بفتح الميم وبالهمز على المهيع الفصيح في شعر أسامة بن الحارث الهذلي(7)، والمتنخل الهذلي(8)، والمعطّل(9)، ومعقل بن خويلد(10)، وساعدة بن جوءية(11)، وللأعلم في مكانين من الديوان(12)، وأبي خراش(13)، وأبي المثلم الهذلي (14)، وأبي العيال الهذلي(15). ثم اتجه البحث إلى القرآن المعجز في قراءاته ، فوجد قراءة للحسن والزهري (بين المر وقلبه) الأنفال **٢٤** من غير همز وبالتشديد(16)، وقراءة للزهري وقتادة (بين المر

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٣ ط دار الكتب.

(٢) ١ / ١٥٠.

(٣) انظر التاج (مرأ)، والخزانة ٢ / ٣١٩ ط بولاق.

(٤) ط دار الكتب.

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٣.

(٦) كتاب شرح أشعار الهذليين ١ / ١٥٣.

(٦) كتاب شرح اشعار الهذليين ١ / ٣٨٤.

(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٢.

(٨) الديوان ٢ / ١٧.

(٩) الديوان ٣ / ٤٤.

(١٠) الديوان ٣ / ٦٥ هامش.

(١١) الديوان ١ / ١٩١.

(١٢) الديوان ٢ / ٨٠، ٨٣.

(١٣) الديوان ٢ / ١٥٠.

(١٤) الديوان ٢ / ٢٢٦.

(١٥) الديوان ٢ / ٢٥٣.

(١٦) البحر ٤ / ٤٨٢، المحتسب ١ / ٣٤٤ تيمور رقم ٣٧٩ تفسير.

وزوجه) البقرة ١٠٢ من غير همز وبالتشديد[١].

ولكن ما الصلة التي بين الحسن والزهري، وبين هذيل حتى تتمثّل فيهما لهجتها؟ تفيدنا كتب الطبقات أن ابن شهاب الزهري ينسب إلى زهرة بن كلاب وينتهي نسبها إلى قريش، وهو من حفّاظ المدينة[٢]. وأما الحسن البصري فبعد لأي عثرت على رواية ـ أضاءت معالم البحث ـ في تاج العروس [٣] مفادها أنَّ الحسن قال يوماً أمام جلسائه (توضيت) بالياء فقيل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال إنها لغة هذيل وفيهم نشأت. وأمام هذا التقصّي أرجح:

أـ أنَّ ـ المرء ـ بكسر الميم وبالهمز ليست لهجة هذلية، لأنها جاءت في ديوانهم في البيت نفسه من غير همز وبالتشديد، وحين جاءت في غير الديوان بالهمز وكسر الميم (زعم الراوي أنها لغة هذيل) فالرواية لم تفارق منطقة الزعم والظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً! ومحال أيضاً أن ينطق أبو خراش الهذلي بصورتين مختلفتين، الهمز وبدونه.

بـ أنَّ ـ المرء ـ بفتح الميم وبالهمز وهي الفصحى، ليست لهجة هذيل أيضاً، لأن كتابة الديوان وقعت تحت تأثير الفصحى، فصقلت وهذبت.

جـ أنَّ ـ المرء ـ من غير همز وبالتشديد هي لهجة هذيل، يؤيد هذا أن الحسن البصري قرأ بها، وقد أثبتّ أنَّ الحسن نشأ في ديار هذيل، فانعكس على نطقه بعض لهجاتها.

دـ أن هذيلاً تقع في منطقة الحجاز، فالتأثير والتأثّر والأخذ والعطاء قائم بينهما، ولهذا تلقفها عنهم ابن شهاب الزهري المدني الحجازي، وكثيراً ما قرن الفراء ـ الحسن البصري مع أهل الحجاز في عدم همز بعض الصيغ[٤].

هـ ـ أما ما جاء في لسان[٥] العرب فخلط وتشويه، لأن شعر الهذليين قد نقل إلينا عن رواة أكثرهم لا ينتمون إلى هذيل وأن نقلهم لم يكن مبنياً على المشافهة والتلقي، لذلك يجب أن نأخذ الروايات بحيطة وحذر.

وـ أما صيغة تضعيف الراء وحذف الهمز، فقد انتقل النبر فيها إلى مقطع آخر للضغط وهذا النبر التضعيفي ينسب إلى بيئة الحجاز حيث حذفت الهمزة واستعيض عنها بهذا الضغط القوي، وهذا النبر التضعيفي كان في قبائل الحجاز ومنهاهذيل. يؤكد هذا ما روي عن علي رضي الله عنه. نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر (أي همز) ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمز على النبي صلى الله عليه

(١) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٨، المحتسب ١ / ١٠٣.
(٢) صفة الصفوة ٢ / ٧٧، وتذكرة الحفاظ ١ / ١٠٢.
(٣) ١ / ١٣٤.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٥٦.
(٥) اللسان ١ / ١٥٠ على أن لغة هذيل المرء بكسر الميم والهمز.

وسلم ما همزنا.

وقال أبو زيد الأنصاري: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون[1]. وفي اللسان[2]: ولما حجَّ المهدي قدم الكسائي يصلي بالمدينة فهمز فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن؟!» وهذا يشير إلى ما يقوم به انتقال النبر في البناء البنيوي للصيغة.

* * *

### د ـ الأصل ومدى صلته بظاهرة الشذوذ

على أن هذا الأصل التاريخي يمكن أن يتعرَّف عليه من خلال ما سمّاه علماء العربية (بالشاذ) تارة أو (الضرورة) تارة أخرى.

وقد جمعت قدرا صالحاً من (الشذوذ) الصرفي، ومن الضرائر فيه، لنرى فيهما الأصل الحقيقي لسير الصيغ، كما نرى من خلال الصيغة: معلة تارة أو مصححة أخرى، أو مضطربة أحياناً، نرى ونلمس التدرج اللغوي صاعداً على سلم الارتقاء، أو منحدراً متجمّداً ـ يمثل بقايا مرحلة سالفة.

ولعلَّ كثرة الشذوذ، وتردّد هذه الكلمة في أبواب الصرف وغيره يرجع سببها إلى أن علماءنا القدامى كانوا يعتقدون أن العربية خلقت كاملة، ففهموا أن كل تطور ينالها إنما ينشأ عن ضعف أو انحراف أو شذوذ ـ وليس كذلك، إنما يمثِّل هذا الشذوذ مرحلة من مراحل حياة الصيغة، لم تتطور تطوراً كاملاً، بل بقيت متجمّدة في إحدى مراحلها فوسمت بالشذوذ عندهم، ولكن هذا الشذوذ منبهة على أصلها، ودليل على أولية حالها. وهو يشير إلى بقايا من تاريخ الكلمة لا يصح أن نهمله أو نظلمه بالحيف والجور لأنه يمثِّل بيئة لغوية، وهذا المنهج الذي اتبعناه يخالف منهج الأقدمين الذين يرون أنه: لا ينبغي أن يلتفت إلى شواذ الأشياء (عبث الوليد للبحتري) ومثل ذلك ما جاء في الاقتراح للسيوطي ص ٢٩ ط الثانية: «إن الشاذ ونحوه يطرح طرحاً ولا يهتم بتأويله». والحقيقة التي عومل بها الشاذ أنه إذا كانت الشواهد عليه كثيرة وافرة ـ دخل في اللغة الفصحى، وإن كانت الشواهد عليه قليلة بقي شاذاً دون أن يفتح له المشرعون مكاناً في كتب الصرف وغيره، وأياً ما كان فالشاذ أقدم عهداً، وأثبت نسباً من الصيغ الجارية على القواعد الصحيحة التي وضعها العلماء. والذي يهمّنا في هذه الدراسة، وذلك المنهج الجديد أن نربط بين هذه الشواذ بحيث تتواكب وتتواخى في سلّم ارتقائي واضح مترابط، إذ الثابت أن التطور حقيقة في اللغات يميت معاني وينشىء أخرى غيرها، ثم تبقى بقايا لما أميت، ومن النص الآتي يتضح هذا: كلمة (مطلع) وردت بالكسر والفتح ـ والقياس الفتح (شرح السيرافي ٥/٢٧٩) أما قياس الكسر فهو أن يكون المضارع تطلع ـ بكسر اللام. وكان الكسائي يقول: هذه لغة ماتت في كثير من

---

(١) اللسان ١/١٤.

(٢) (نبر).

لغات العرب. يعني ذهب من يقول: تطلع بكسر اللام، وبقي: مطلع ـ بكسرها في الزمان والمكان على ذلك القياس (البحر ٦ / ١٦١) وصيغة الكسر مع أنها خارجة على قياسهم لكنها لهجة معترف بها في تميم، وقرأت القراءة بها في (حتى مطلع الفجر) (القدرآه) بالكسر.

وسأعرض أمثلة لما يسمى بالشاذ في باب (الإعلال) وقوة دلالته على الأصل، وعلى أولية الكلمة.

**أولاً :**

| نـوع أعل | وقيـاسه | التصحيح | |
|---|---|---|---|
| مصائب | وقياسه | مصاوب | (لأن المد في المفرد أصلي فلا يعل في الجمع بالقلب). |
| معائش | وقياسه | معايش | (لأن المفرد معيشة فالمد أصلي). |
| ناقة عليان | وقياسه | علوان | (لأن الواو في كل قلبت ياء ولم تقع بعد كسر). |
| وصبية وصبيان | وقياسه | صبوة | |
| من العلو والصبوة | وقياسه | صبوان | |
| ثِيرة جمع ثور | وقياسه | ثِوَرة | (لعدم الألف بعد الواو في الجمع). |
| طيال[1] جياد | وقياسه | طوال وجواد | (لأن الواو أعلّت في الجمع مع أنها في المفرد (طويل) ليست معلّة ولا شبيهة بل متحركة). |
| قرأ بعضهم: | | | |
| «للريّا تعبرون» بالتشديد | وقياسه | للرؤيا | (بقلب الواو ياء مع أنها عارضة غير أصيلة). |
| أنا الليث معديّا | وقياسه | معدوّا | (لأن الماضي على فَعَل- بفتح العين فالواجب تصحيح الواو). |
| (فما أرق النيّام إلاّ كلامها) | وقياسه | النوّام | (لأن الجمع على فعال والواو لا تقلب ياء فيه فتصحح فيه الواو). |
| أجليّاذ | وقياسه | اجلوّاذ | (لتشديد الواو) |
| ديوان | وقياسه | دوّان | (لتشديد الواو) وجمع ديوان ـ دواوين، ودياوين (إبدال أبي الطيب ٢/٤٧٤) ولعل هذا الجمع الأخير تجمد في دور التهذيب). |
| داران هامان | وقياسه | دوران/هيمان | (لأن في آخر الاسم زيادة خاصة |

(١) تبين لي أن القماءة ذلّة.. وأن أعزاء الرجال طيالها (المفصل: ٣٨١) كما وردت رواية أخرى (طوالها). ابن يعيش ١٠ / ٨٩ محقق.

بالأسماء لكن أعلت شذوذاً)

| | | | |
|---|---|---|---|
| جالان سالان | وقياسه | جولان/سيلان | |
| صِيار وصيان[1] | وقياسه | صِوار وصوان (لأن الواو وإن وقعت بين كسرة وألف لكنها ليست عين جمع بل هي عين مفرد). | |

**ثانياً:**

**نوع (صحيح) وقياسه(الإعلال)**

| | | | |
|---|---|---|---|
| ثوب مصْوون | وقياسه | مصون | |
| ثوب مْخيوط | وقياسه | مخيط | |
| (والتصحيح جائز عند تميم شاذ عند غيرهم) | | | |
| خونة جمع (خائن) | وقياسه | خان | لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال. |
| حوكة جمع (حائك) | وقياسه | | لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال. |
| مَرْيم | وقياسه | مرام | استحقَّت الإعلال بالنقل لاستكمالها الشروط لكنها لم تعلّ. |
| جمع حاجة (حِوَج) | وقياسه | حيج | استوفت شروط الإعلال ولم تعل. |
| مِقْوَدة | وقياسه | مَقَادة[2] | |
| مِكوزة | وقياسه | مَكازة | |
| مدْين | وقياسه | مدان | |
| مَوظَب | وقياسه | | كسر العين مثل: الموضع والموعد |
| مورَق | وقياسه | | كسر العين مثل: الموضع والموعد |
| موهَب | وقياسه | | كسر العين مثل: الموضع والموعد |
| سقاية | وقياسه | سقاءة | لأن الياء تطرفت حكمًا بعد ألف زائدة والتاء غير لازمة، ولم تقلب همزة، والقياس سقاءة. |
| حَيِيَ، عَيِيَ: | وقياسه | حَايَ عايَ | يقتضي قلبها ألفاً، لأنه مضعف يائي فيه الياء الأولى متحركة مفتوح ما قبلها، كما يقتضي قلبها ألفاً في مضارعه، لأن |

---

(١) صيامر: القطيع من الإبل والشاء.
صيان : ما يصان فيه الثياب.

(٢) ومن أمثال العرب (ان الفكاهة مقودة إلى الأذى). المنصف لابن جني ١ / ٢٩٥.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | كل أجوف من باب (فعل) بكسر العين قلبت عينه في الماضي ألفاً تقلب عينه في المضارع ألفاً مثل (خاف ويخاف) فيقال (يَحَايُ يَعَايُ) ولكن لم يحدث ذلك. |
| المنائي[1] جمع منيّة | وقياسه | المنايا | (الهمزة عارضة فالمفرد منيّة واللام معتلّة فيجب قلبها ياء لاستيفائها شروط الإعلال). |
| سمع من العرب خطائي | وقياسه | خطايا | |
| قراءة بعضهم (إئلافهم) | وقياسه | | قلب الثانية ياء (لأن الثانية ساكنة بعد كسر |
| قراءة بعضهم (أئمة) | وقياسه | أيمة | (قلب الهمزة الثانية المكسورة ياء) |
| سواسوة | وقياسه | سواسية | (الواو تطرفت بعد كسرة فتقلب ياء) |
| نوارا: مصدر نارت الظبية إذا نفرت | وقياسه | نيار | |
| شوارا: شار الدابة يشورها (بمعنى: راضها) | وقياسه | شيار | (استكملت شروط الإعلال ولم تعل بأن وقعت الواو عيناً لمصدر وقبلها كسرة وبعدها ألف) |
| القصوى | وقياسه | القصيا | (لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفا) |
| الحلوى | وقياسه | الحليا | (لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفا) |
| يوم أيْوَم | وقياسه | أيّم | (حيث اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء) |
| عوى الكلب عَوْية | وقياسه | عيّة | (لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء والقياس عيّة بقلب الواو ياء وإدغامها في الياء). |
| | | وسمع عَوَّة | (قلبت فيه الياء واواً ثم أدغمت الواو في الواو عكس القاعدة). |
| رجاء بن حَيْوة | وقياسه | حيَّة | (لاجتماع الواو والياء والأول منهما ساكن قال السيرافي ٤٢٧/٦ (نسختي) أظهروا الواو لأنه لا يتصرَّف تصرفاً نعلم به أن أصله واو). |
| ضَيْوَن[2] | وقياسه | ضَين | (لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والأول منهما |

(١) قال عبيدة بن الحارث في يوم بدر:

فما برحت أقدامنا في مكاننا ثلاثتنا حتى أُزيروا المنائيا

(٢) ضيون: السنور الذكر.

ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء)

قراءة بعضهم «راضية مرضوَّة» وقيـاسه : مرضية ـ لأن الواو وقعت لاماً لاسم المفعول الذي ماضيه على فعل ـ بالكسر.

| | | | |
|---|---|---|---|
| استحْوذ / أعول | وقياسه | استحاذ | اجتمع فيها شروط الإعلال بالنقل، فالساكن الذي قبل حرف العلة صحيح ولم تكن الكلمة فعل تعجب، ولا مضعفة اللام ولا كانت اللام حرف العلة. ولم تعل. |
| أغيلت المرأة / استروح | وقياسه | أغال / استراح | |
| صددت فأطولت | وقياسه | أطال | |

إعوالا / استحواذا

إغيالا

**شذ:**

الرَّوح[1]

الغَيب[2]

الخَوَل[3]

القَوَد

وقياسه الإعلال — حيث استكملت شروط الإعلال

وشذ (أرى عيني ما لم ترأياه) جاء على الأصل المرفوض.

وشذ (فانهُ أهل لأنْ يؤكرما) وقياسه: يكرما حذف الهمزة للإستثقال .

وشذ (حذف الفاء في مثل يمنع/يسع/يطأ/يذر) وقياسه: يوسع ويوطأ، وعدم حذفها لأن المضارع مفتوح العين.

## الفك والادغام

شذ: لححت عينه (بفك الادغام)

ألل السقاء (تغيّرت رائحته)

ضبب البلد (كثر ضبابه)

دبب الإنسان (نبت شعره في جبينه)

صكك الفرس (اصطكّت عرقوباه)

قطط الشعر (اشتدَّت جعودته)

تَهْلَلٌ والشذوذ فيه إظهار التضعيف، ولا يكون ذلك إلا مدغمًا.

مَحْبَب والشذوذ فيه إظهار التضعيف، ولا يكون ذلك إلاّ مدغمًا.

كلها جاءت بإظهار التضعيف لبيان الأصل.

(١) الروح: الطيور المتفرقة عند الرواح. (٢) الغيب: اسم جمع للغائبين. (٣) الخول: الخدم.

## (١) التثنية في المقصور والممدود

جملة ما شذّ من المقصور ثلاثة أشياء:

١- قولهم: مذروان والقياس بالياء.

٢- قولهم: خوزلان وقاس عليه الكوفيون.

٣- قولهم: رضيان وقاس عليه الكسائي.

والذي شذ من الممدود خمسة أشياء:

١- قولهم: حمراءان والكوفيون أجازوه كما حكى ابن النحاس.

٢- قولهم: حمرايان وحكي أنه لغة فزارة.

٣- قولهم: قاصعان بحذف الهمزة والألف. وقاس عليه الكوفيون.

٤- قولهم: كسايان وقاس عليه الكسائي ونقله أبو زيد عن لغة فزارة.

٥- قولهم: قراوان بقلب الألف الأصلية واواً.

## (٢) شواذ التعجّب والتفضيل

تبنى صيغتا التعجّب والتفضيل من: فعل ثلاثي مجرد تام مثبت متصرف قابل للكثرة - غير مبني للمفعول ولا معبّر عن فاعله بأفعل فعلاء.

ومن الشاذ: ما أأتاه(*) للمعروف، وما أعطاه للدراهم.

وما أعوره. وما أحمره (**)

هو أحنك[١] البعيرين. وأقمن[٢] به. وما أعساه[٣] وأعس به. وما أقدر الله أن يدني على شحط: لعدم قبول صفات الله الكثرة. هو أزهى[٤] من ديك، وأشغل من ذات النّحْيين[٥]. (التصريح والهمع والأشموني في هذه الأبواب).

## (٣) شواذ النسب

مما يحذف لياء النسب ياء فعيلة بشرط صحة العين وانتفاء تضعيفها: كحنيفة وصحيفة - تحذف منه تاء التأنيث أولاً ثم تحذف الياء ثانياً ثم تقلب الكسرة فتحة: حنفي وصحفي. (التصريح ٢ / ٣٣٠).

وشذ قولهم في سليمة: سليمى. وفي عميرة - كلب - عميري. وفي السليقة سيلقي، قال الشاعر:

ولست بنحوي يلوك لسانه
ولكن سَليقيّ أقول فأعرب

فهذه الكلمات جاءت شاذة للتنبيه على الأصل المرفوض والقياس: سلقي مثل: حنفي

---

(*) ليس مجردا

(**) معبر عن فاعله بأفعل فعلا

(١) اسم عين

(٢) من وصف لا فعل له

(٣) فعل جامد

(٤) مبني للمجهول.

(٥) مثل عربي

ولكنه جاء على خلاف القياس. (الأشموني ٤ / ١٨٦، والتصريح ٢ / ٣٣٠).

**(تعقيب ونقد)**

١ـ قد يجيء في الباب الحرف والحرفان على أصولها، وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدل على أصل الباب (انظر: «استحوذ عليهم الشيطان» المجادلة ١٩) وأغيلت المرأة (إذا أرضعت ولدها وهي حامل) وكذلك: لححت عينه (لصقت).

٢ـ المراد بالشذوذ ردّ إلى الأصل المرفوض (شواهد المغني ١٧٢، ٢٤٠، ٢٣٢) وتفسير الشذوذ أن التصحيح هو الأصل والإعلال طارىء متأخر وتهذيب جاء في اللغة، أحالته الموسيقى اللفظية عن النطق السابق إلى الحاضر على نسق معين، ولهذا يمثِّل الإعلال نهاية العمل المتكامل، إذ العربية في تاريخها الطويل كانت خاضعة لسنة الارتقاء وهي بين النقص والزيادة والتهذيب والتشذيب، والهدف من الاعلال في النهاية التخفيف، ففيه النقل والقلب والحذف وسبيل ذلك التيسير.

٣ـ ومما يؤكد أن مرحلة ما بين التصحيح (وهو الأصل) والإعلال (وهو الفرع) كانت للتنقيح والتهذيب وتصفية الصيغ، ان الصيغ المصححة مثل: أعول، وأغيل وأجود قد سمعت معلة على القياس إلا استحوذ، واستروح الريح، وأغيلت المرأة (أرضعت على الحبل) وإنما لم تعل هذه الأفعال بالنقل دلالة على أن الإعلال في مثلها غير أصل.

٤ـ أن علماء العربية كانوا يظنون أن الإنسان هو الذي يقوم بعملية التصحيح والإعلال في اللغة فكثيراً ما تسمعهم يقولون «المنائي ـ بإبقاء الهمزة مع عروضها في الجمع، وكان القياس (المنايا) وأصله (المنائي) بهمزة عارضة ثم تفتح الهمزة مع القياس فتنقلب الياء ألفاً فتصير (المناءا) ثم تقلب الهمزة ياء فتصير (المنايا) ولكنهم بعد عروض الهمزة كفوا أيديهم وعاملوها معاملة الهمزات الأصلية. وهذا غير صحيح، لأن اللغة ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تأثير للفرد عليها.

٥ـ ويرى نفر من الباحثين وجهاً حسناً في نفيه الشذوذ ـ عمّا يسمى بالشذوذ في العربية ـ فيقول معلّقاً على الشذوذ في اسم الآلة: المُسعط والمُنخل والمُدهن.. والحق أن هذه الألفاظ لم يذهب بها مذهب الفعل، ولكنها كما قال سيبويه جاءت لتجعل أسماء لهذه الأوعية، فالمكحلة ليست لكل ما يكون فيه الكحل، ولكنها اختصَّت بالآلة المخصوصة، ولهذا جاز تغييرها عمّا جاء عليه قياس اسم الآلة.

كما نفى الشذوذ أيضاً حين قالوا بشذوذ (يدع ويذر) لأن القياس حذف الواو من المثال إذا كان في المضارع على (يفعل) بكسر العين، والنافي للشذوذ يرى أن أصل الفعل ـ يفعل ـ بكسر العين، إذ القياس المخالفة بين الماضي والمضارع إلا أنها فتحت من أجل حرف الحلق.

كما نفى الشذوذ أيضاً في قولهم: أموي بالفتح في أُمية ـ بالضم. وبَدوي: بالتحريك في

البدو. فأموي ـ جاءوا به على الأصل الأصيل، إذ أمية تصغير (أَمَة) بفتح الهمزة، وبَدَوي: قياسه بَدْوي ـ بالسكون ـ وإنما فتح للازدواج مع نظيره (الحضري).

٦ـ شأن الأعلام مثل (مريم، مدين، ورجاء بن حيوة...) المحافظة على صورتها الأصلية ولهذا لم يدخلها الإعلال (أي التهذيب والتنقيح) كما دخل غيرها.

٧ـ أن الصيغ الصرفية لم تخضع للقوانين ولم تخف من الحدود واقامة السدود بدليل ما سبق من صيغ صحّحت والقياس فيها الإعلال، وصيغ أخرى أعلّت والقياس فيها التصحيح وصيغ يجب حذف الهمزة في التصريف فلم تحذف، وصيغ جاءت بإظهار التضعيف، وقياسها الإدغام إلى آخر الشواهد والأمثلة السابقة.

٨ـ ويرجع الشذوذ إلى أسباب كثيرة منها:

التوهم: ومن ذلك قول الشاعر:

ولقد رأيتك بالقوادم مرة
وعليّ من سدف العشيّ رَياح

فالقياس رواح ـ لأنه من راح يروح، لكنه لما كثر قلب هذه الواو في تصريف هذه الكلمة ـ ياء ـ نحو: ريح ورياح ـ ومريح ومستريح، وكانت الياء أيضاً عليهم أخف تدرجوا من ذلك إلى أن قلبوها في (رياح) مع زوال الكسرة التي توجب القلب، وكأنهم توهموا أن الياء أصلاً في ذلك.

ومن هذا ما يحكى عن عمارة بن عقيل من أنه قال في جمع ريح ـ أرياح.. حتى نبَّه عليه فعاد إلى ـ أرواح. وكأنَّ عمارة توهم في أرياح ـ أصالة الياء. ومثل هذا التدرج من أرواح إلى أرياح ـ نمط من حياة اللغة وتطورها، ولهذا يقول السهيلي: إن ريحاً وأرياحاً ـ لغة لبني أسد. وقال الخفاجي في شرح بانت سعاد لابن هشام:

من العرب من يقول: أرياح، كراهة الاشتباه، بجمع روح. ومثل هذا قولهم في جمع عيد ـ أعياد ـ والواجب: أعواد، وإنما قالوا ذلك لتوهم أصالة الياء في عيد، ودفع الالتباس بجمع عود لو قيل: أعواد.

ومن هذا الضرب أيضاً قولهم: ديمة وديم. وأصلها من الدوام، وقالوا أيضاً: دوّمت السماء ـ على الأصل، وديمت ـ على تَوَهّم أصالة الياء، وأنها ليست منقلبة عن واو، وقد تجاوزوا هذا فقالوا: دامت السماء تديم. فمرد هذا إلى التوهم وهو مسؤول عن خلق صيغ جديدة في الحقل اللغوي.

وقد يرجع الشذوذ إلى الإتباع والمزاوجة، فمن ذلك قولهم: هنأني الطعام ومرأني، فإذا أفردوا قالوا: أمرأني. وفي الحديث: «ارجعن مأزورات غير مأجورات». ومأزورات من الوزر وهو الذنب فأصله: موزورات. ومن ذلك قولهم: جاء فلان بالضيّح والريح. وأصله: بالضحّ. أي بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح، فقيل: الضيح للازدواج مع الريح (الاقتضاب ٢١٩) كما قد يكون سببه الضرورات الشعرية.

ونظرية الإتباع أو المماثلة أو التوافق الحركي قد لحظها القدماء من الصرفيين وعبّروا عنها بالمناسبة في مثل قولهم:

١ـ مقام: أصلها مقْوم ـ نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ألفاً لمناسبة الفتحة.

٢ـ يستجيب: أصلها يستجوب (بكسر الواو) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الحركة المنقولة.

٣ـ المستقيم: أصلها المستقوم (بكسر الواو) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة.

ولكن الصرفيين كان في إمكانهم أن يستغلّوا هذا العامل لحل مشكلات باب(الإعلال)إذ أن فهم عامل المماثلة يسهل عملية الإعلال ويختصرها، ويفسرها تفسيراً لا يخرج باللغة عن طبيعتها، ولا يوقعنا في متاهات وافتراضات للكلمة مثلا:

١ـ سيّد وميّت: أصلهما: سيود وميوت. اجتمعت الواو والياء والسابقة ساكنة فقلبت الواو ياء ثم أدغمت الياء في الياء ـ **للمماثلة**.

٢ـ آمنت: أصلها أأمنت. توالت همزتان وسكنت الثانية فقلبت مدة من جنس حركة الأولى **للمماثلة**.

٣ـ حياض: أصلها: حِواض، وقعت الواو عيناً لجمع صحيح اللام بعد كسرة وبعدها ألف الجمع فقلبت ياء لمشاكلة الكسرة أو **للمناسبة**.

٤ـ ميزان: أصله موزان. وقعت الواو ساكنة بعد كسرة فقلبت ياء لمناسبة الكسرة.

٥ـ يوقن: أصله: ييقن. وقعت الياء الساكنة بعد ضمة فقلبت واواً لمشاكلة الضمة قبلها.

٦ـ سيق: أصله سُوِق. قلبت الواو ياء ثم قلبت ضمة السين كسرة لمماثلة الياء.

ويستطيع الإنسان أن يأتي على أكثر باب الإعلال، ويفسره هذا التفسير المادي اليسير بل يستطيع الباحث بشيء من التفحص أن يرجع كثيراً من الظواهر اللغوية إلى هذا العامل وبهذا يمكن أن نستغني عن كثير من قواعد الصرفيين في باب الإعلال ونختصرها.

**د. أحمد علم الدين الجندي**